اسم و لقب الأستاذ: وافيه حملاوي

المادة: مناهج دراسة الفلكلور

المستوى: أولى ماستر

التخصص: أدب حديث ومعاصر

المحاضرة الثامنة: المنهج الأيديولوجي

1/ ما هو المنهج الأيديولوجي:

ينطلق المنهج الأيديولوجي في دراسة الفلكلور من افتراضٍ أساسي مفاده أنّ: الفلكلور ليس مجرّد تعبير عفوي أو ترفيهي عن ثقافة مجتمع ما، بل هو نتاج وتعبير عن علاقات القوّة والصّراع الاجتماعي، والأيديولوجيات السّائدة في هذا المجتمع.

يُركّز هذا المنهج بشكلٍ أساسي على الكشف عن الطّرق التّي يتمّ بها إنتاج الفلكلور واستهلاكه، وتداوله، لخدمة مصالح فئات اجتماعية معيّنة أو للحفاظ على النّظام الاجتماعي القائم.

2/ أهمّ أسس المنهج الأيديولوجي في دراسة الفلكلور:

- **الأيديولوجيا:**

يُعدّ مفهوم الأيديولوجيا حجر الزاوية في هذا المنهج، ويُنظر إلى الأيديولوجيا ليس كمجموعة من الأفكار والمعتقدات الواعية فحسب، بل كـ "نظام" متكامل من التّمثيلات (صور، مفاهيم، أفكار، ممارسات) التّي تُخفي أو تُشوّه العلاقات الاجتماعية الحقيقية، وتعمل على تبرير الوضع القائم؛ يُمكن أن تكون الأيديولوجيا مهيمنة (تخدم مصالح الطبقة الحاكمة) أو مقاومة (تتحدّى النّظام القائم).

- **الهيمنة الثقافية:**

هذا المفهوم مستوحى من أعمال "أنطونيو غرامشي"؛ حيث يُشير إلى الطّريقة التّي تفرض بها الطبقة الحاكمة رؤيتها للعالم وقيمها ومعتقداتها على المجتمع بأكمله، بحيث تبدو هذه الرؤية طبيعية وعقلانية وحتّى مرغوبة من قِبل الطّبقات المحكومة. يلعب الفلكلور دورًا مهمًا في هذه العملية من خلال نشر وتكريس بعض القيم والمعتقدات التّي تدعم الهيمنة.

- **الصّراع الطبقي:**

يَعتبر المنهج الأيديولوجي أنّ التاريخ و المجتمع محكومان بالصّراع بين الطبقات الاجتماعية ذات المصالح المتعارضة، ويتمّ تحليل الفلكلور في ضوءِ هذا الصّراع، حيث يمكن أن يعكس هذا الصّراع أو يساهم في إخفائه أو تفكيكه.

- **المقاومة:**

على الرّغم من أنّ الفلكلور يُمكن أن يكون أداة للهيمنة إلاّ أنّه يمكن أيضًا أن يكون مساحة للتّعبير عن المقاومة والتحدّي للأيديولوجيات المهيمنة؛ حيث يمكن أن تتضمّن الحكايات و الأغاني الشّعبية، رسائلَ ضمنية أو صريحة تنتقد السلطة أو تقدّم رؤى بديلة.

3/ الفلكلور والنّازية:

كانت أوّل دولة قومية تستخدم دراسة الفلكلور كرأس مالٍ سياسي هي حكومة "هتلر" القومية الاشتراكية (النازية). فقد نُشرت في ألمانيا خلال العقد الرّابع من القرن العشرين، كميات ضخمة من الكتابات الفلكلورية، التّي تدعم المفهوم النّازي للشعب السّيد أو العِرق الآري؛ الذّي تُوحّد بين جماعاته روابط قائمة على الدّم، واللّغة والثّقافة والتّراث.

استغلّ النّظام النّازي ببراعة عناصر من الفلكلور الألماني التّقليدي و أعاد تفسيرها و توظيفها لخدمة أهدافه السياسية والعنصرية وذلك من خلال:

- إحياء الأساطير البطولية و الشخصيات الأسطورية الجرمانية، وتقديمها كرموز للقوّة و الشجاعة والنّقاء العِرقي للآريين، كما تمّ ربط هذه الشخصيات بـ "هتلر" و النّظام النّازي، لخلق شعور بالاستمرارية التاريخية والمجد القومي.

- تنقية الحكايات الشّعبية من أيّ عناصر "غير ألمانية" أو "مشبوهة" و إعادة صياغتها لتناسب الأيديولوجية النازية؛ حيث تمّ التّركيز على ثيمات، مثل: الولاء، الطاعة، التضحية من أجل الجماعة والأرض.

- قمع أو تجاهل أيّ مظاهر فلكلورية تعكس التنوّع الإقليمي أو الثقافي داخل ألمانيا، لأنّها تتعارض مع فكرة الوحدة العرقية والسّياسية.

- استخدم النازيون الفلكلور بشكل سلبي لتشويه صورة الجماعات التّي اعتبروها من الأعداء، وخاصة "اليهود".

- سعى النازيون إلى إضفاء شرعية على نظامهم من خلال ربطه بتقاليد ألمانية قديمة وعريقة. كما تمّ تصوير "هتلر" كخليفة للأبطال الجرمانيين القُدماء، وتمّ استخدام الرّموز والأساطير القديمة لتعزيز صورته كقائد قوي وحكيم يقودُ الأمّة نحو المجد.

- قام النّظام النّازي بالسّيطرة على المؤسسات و الجمعيات المعنية بدراسة الفلكلور، و تمّ تطويع الباحثين و الأكاديميين لخدمة الأيديولوجية النازية.

4/ الفلكلور و الماركسية:

ينظر الماركسيون إلى الفلكلور ضمن إطار البنية التحتية (العلاقات الاقتصادية ووسائل الإنتاج) و البنية الفوقية (الأيديولوجا، الثقافة، القانون، السياسة). يُعتَبر الفلكلور جزءًا من البنية الفوقية، وبالتالي فهو يعكس ويُساهم في تشكيل الوعي الطّبقي والعلاقات الاجتماعية القائمة.

- يرى الماركسيون أنّ الفلكلور غالبًا ما يحمل في طيّاته آثار الصّراع بين الطّبقات الاجتماعية، فالحكايات الشعبية والأغاني والأمثال، تعكس تجارب وقيم الطّبقات العاملة والفلّاحين، و صراعهم ضّد المستغلّين.

- يُمكن أن يُستخدَم الفلكلور أيضا من قبل الطبقات الحاكمة لترسيخ أيديولوجيتها، وتبرير النّظام القائم.

5/ بعض الانتقادات الموجّهة للمنهج الأيديولوجي:

- **الاختزالية والتبسيط المفرط:** حيث يميل هذا المنهج إلى اختزال التّعقيد المتأصّل في الفلكلور إلى مجرّد انعكاسٍ أو أداةٍ للأيديولوجيات المهيمنة.

- **التحيّز والتّفسير الانتقائي:** الباحث الذّي يتبنّى المنهج الأيديولوجي قد يكون متحيّزًا لأيديولوجيته الخاصة، ممّا يؤدّي إلى تفسير انتقائي للفلكلور لتأكيد وجهة نظره.

- **إغفال الديناميكيات الداخلية للفلكلور:** يركّز هذا المنهج بشكلٍ كبير على العلاقة بين الفلكلور والمجتمع الأوسع (خاصة القوى المهيمنة)، وقد يهمل الديناميكيات الداخلية لتقاليد الفلكلور نفسها.

- **صعوبة تحديد "الأيديولوجية المهيمنة" بشكل قاطع:** قد يكون من الصّعب تحديد أيديولوجية واحدة "مهيمنة" بشكلٍ واضحٍ. حيث تتفاعل وتتنافس العديد من الأيديولوجيات المختلفة.